

(٤٤)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا
وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ

صدق الله العظيم

دراسي عن

الإيمان بالله سفينته النجاة

لشيخنا ومربيها العارف بالله

فضيلة الشيخ / ماهر إسماعيل جاهين

رحمه الله ورضي عنه

وجزاه عن الأعلام والمسلمين خير الجزاء

فهرس (٤)

المعاني التي دار حولها الدرس

- (١) من عظمة الأديان السماوية أن الله أعد الجنة لمن آمن به ووحدّه ولو كان الموحّد زوجة فرعون ، كما أعد النار لمن عصاه و كفر به ولو كان ولد نبى أو زوجته .
- (٢) يرزق الله عبده النعم ليلوه أيشكر فيؤدي حق الله فيها أم يجحدها فيعصي الله بها .
- (٣) من شكر النعمة أن يرعى المسلم اليتيم ، ويعطف علي المسكين .
- (٤) خلق الله الأضداد في الكون مثل : الليل ، النهار ، الذكر ، الأنثى ، والغنى والفقر ، و الصحة والمرض ، والموت و الحياة لتعرف علي أسمائه الحسنى لأن أسمائه الحسنى سبحانه وتعالى إما صفات جلال مثل القهار ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، القوى . وإما صفات جمال مثل الكريم ، الودود ، الرحمن ، الرحيم ، اللطيف . . إلخ .

- (٥) ليس البُخل بخل المال فقط بل هناك ما هو أشد منه
بُخلاً وهو أن يبخل العبد ويتجاهل صفات خالقه .
- (٦) من أقر الله بصفاته واتقاه في أمور دينه ودنياه يَسِّر الله
أمور آخرته ودنياه .
- (٧) من أعرض عن الله ، وباع آخرته بدنياه . جعل النار
مثواه .
- (٨) إذا غضب الله علي عبد أخذه أخذ عزيزٍ مقتدر .
وحيث لا ينفعه مال ولا جاه .
- (٩) من أكبر الأمور التي تُقرب العبد من مولاه أن يرزقه
الإخلاص في عمله ، وأن يرزقه اليقين في عقيدته ،
ولسوف يرضي و يفرح عند لقائه بربه .

الإيمان بالله سفينة النجاة

يقول الحق في مُحكم التّزِيل (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا
امْرَأَتِ نُوحٍ وَامْرَأَتِ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ
فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ
الْدَّاخِلِينَ)^(١) .

تعرض القرآن في أول الآية لامرأة سيدنا نوح وامرأة سيدنا
لوط حيث أثبت الخيانة لامرأتَي النبيين الكريمين ، ومعنى هذا
أنهما كانتا يعملان ضد سيدنا نوح ، و سيدنا لوط في
الخفاء، وفي نفس الوقت كانت كل امرأة تُظهر الولاء لزوجها
ولكنها في السر تحارب ما كان عليه من دين . و هذا مثل
للكفار لا شأن الآن لنا به ، ولكننا نريد أن نوضح موقف ولد
سيدنا نوح عليه السلام في الآية الكريمة . . و نادى نُوحُ ابْنَهُ
وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنِيْ اِرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ . . قَالَ
سَآوِىْ اِلَى جَبَلٍ يَعْصِفُنِيْ مِنْ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ اَمْرِ
اللّٰهِ اِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُفْرَقِينَ) هذان
أَمْثُودِجَانِ مِنْ نَمَازِجِ الْكُفْرِ ، الأول لامرأتَي النبيين الكريمين ،
و الثاني لابن نبي كريم ، و لذا كان حُكم القرآن حاسماً في

^(١) سورة التحريم .

قول الحق عز وجل (**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ**) ولعمري إن هذا لمن جوانب العظمة في الدين وما أكثر ما في كُتُب السماء من عظمة ، و نريد أن نلقي الضوء السريع علي موقف ولد سيدنا نوح عليه السلام وماذا فهم سيدنا نوح عليه السلام من وعد الله ؟ و كيف التبس عليه الأمر حتى قال الحق له : (**إني أعظُّكَ أن تكون من الجاهِلين**) ؟

البداية جاءت من قول الحق تبارك وتعالى (**حتي إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ^(١) ؟ الآية .**

(**وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنِيْ اَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ**) انظروا رحمكم الله إلى كلمة (يا بني) إنها من غير شك تفيض عطفًا وحنانًا ، ولا عجب في هذا لأن ذلك شأن عاطفة الآباء . وما أجمل ما عبّر الشيخ حينما بين لنا أن الإيمان هو تذكرة الدخول في المركب مُستدلاً بقول الحق : (**وَقَالَ اَرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللّٰهِ مَجْرِيَّاهَا وَمُرْسَاهَا**) وبالعبارة الكريمة (**ولاتكن مع الكافرين**) فبم كان ردُّ الأبن ؟

(١) سورة التحريم (٢) سورة هود

كان ردُّ إنسان لا يعرف الإيمان طريقاً إلى قلبه (سأوي إلى جبلٍ يعصمني من الماء) ولكن الأب أجابه إجابة حاسمة لا تعرف الشك (لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ) ولقد أشارت الآية إلى أن المياه التي ستجري عليها السفينة لن تكون سيولاً فقط ، ولكنها ستكون مُغرقة هالكة للكافرين (وهي تجري بهم في موج كالجبال) .

بقي أن نوضح كيف التجأ سيدنا نوح إلى ربه ؟ قال عليه السلام : (رَبِّ إِنِّي ابْنِي مِنْ أَهْلِي) جرياً علي ما فهم من قول الحق : (قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ) والنبوة مندرجة في الأهل .

وهنا نبه الشيخ (رحمه الله) إلى لفته كريمة وإشارة عظيمة من إشارات القرآن الكريم . لو كان الرد إنه ليس ابنك لقدح ذلك في بنوته له ، و لنفي ثبوتها عن الأب ولكن القرآن قال (إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) أي أهل الإيمان بك لأن هؤلاء أهلك الحقيقيون : ثم قال الحق : (إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ) فلقد أخذ وصفه من كفره . وما أشبه هذا بقول الحق جل وعلا (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) بفتح الجيم حيث يفترق المعني كثيراً

بين هذا التعبير ونجس بالكسر من النجاسة التي من الممكن إزالتها • لكن نجس بالفتح أي أن الذات نفسها نجاسة لكفرها ونجاسة الذات لا تزول إلا بالإسلام و التوحيد • و هذا الشأن أيضا ينطبق علي ولد سيدنا نوح عليه السلام لكفره هو مع إيمان أبيه ونبوته • ولذلك بعد هذا البيان القرآني أسرع نبي الله وحببه إلي الاعتذار بعد أن وضح الموقف بقول الله (فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ • قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ) وفي النهاية غرق ابن سيدنا نوح عليه السلام مع من غرق : حيث شملته الدعوة : (رَبِّ لَا تَذَرْ عَلِي الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا) متعنا ومتعكم الله بالإيمان ، وختم لنا جميعاً بخاتمة السعادة •

وهنا وجه إلي الشيخ سؤال عن حكمة الابتلاء فأجاب (رحمه الله) إن نسبة الابتلاء تكون علي قدر الإيمان ، وقوة اليقين • ولذلك جاء حديث سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم ما معناه (أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ

فَالْأَمَثَلُ (والابتلاء أنواع ، الله عز وجل يتلي عبده بالغنى و

بالفقر ، وبالصحة ، بالمرض ، وبالعسر و اليسر . قال تعالى (

فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ ۖ ۖ فَيَقُولُ رَبِّي

أَكْرَمَنِي ۖ ۖ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ

ۖ ۖ كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ ۖ ۖ وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ

ۖ ۖ كَلَّا ۖ ۖ) رد علي الأول و الثاني برفض دعوى كل منهما .

فالاثان مذمومان ، لأن الأول نسي أن هذا الإكرام ابتلاء ،

كما أنه تذكر النعمة ونسي من أجرى النعمة علي يديه وهو

الحق سبحانه وتعالى : هذا و المتأمل لقوله (**رَبِّي أَكْرَمَنِي**)

يُدرِك من قوله أنه يري نفسه جديراً بما أنعم الله عليه . وما

أشبهه بقارون الذي قال : (**إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي**)

أعاذنا الله جميعاً من الكفر و الضلال .

وكان الثاني مذموماً في قوله (**رَبِّي أَهَانَنِ**) نسي علم الله

وحكمته . وأن كل ما يجري في الكون وفق تدبير حكيم ،

وإحاطة كاملة (**وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي**

ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ)

فانظروا إخواني إلى هذا العبد الجريء علي الله ، المتطاول
علي خالقه ، حينما يُعبر هذا التعبير عن رب كريم ودود •
كيف يصف ربه بما تتره عنه الذات العلية • ؟
هذه زلة كُبرى في حق أحكم الحاكمين ، ولكنه الإنسان
بفجوره وعتفه وغبائه وجهله •

صدق يا سيدي يا رسول الله حينما قلت وقولك الحق
(اللَّهُمَّ لَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ أَوْ أَقْلَ مِنْهَا) ألا
فانظروا إخواني إلى سيد الخلق المعصوم صلوات ربي وسلامه
عليه • وهو الذي لا ينطق عن الهوى حينما قال (طَرْفَةَ
عَيْنٍ • أَوْ أَقْلَ مِنْهَا) لأن الله لو وكل العبد إلى نفسه لحظة
من الزمان لضل ، وأبتعد عن الصراط المستقيم • هل هناك
مؤمن كامل الإيمان يتصور أن العظيم جل جلاله يتزل ليُهين
عبداً من عباده • ؟ ولذا فضح الحق كبرياء كل منهما بقوله :
(كلا) التي تفيد الزجر ثم بينت الآيات أن هناك صنفاً من
الناس قدر الله عليهم أرزاقهم (وفق حكمه بالغه) وأنهم
أكثر الناس استحقاقاً للرعاية ، إنهم اليتامي و المساكين •

(كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ ۝ وَلَا تَحْضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ) هذا ولقد بين الشيخ سر التعبير بقول الله عز وجل في جانب اليتيم بقوله : (بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ) لأن اليتيم في حاجة إلى الرعاية و التعليم ، و التوجيه ، و الوقوف على جميع جوانبه في الحياة علمية ، صحية ، مادية ، خلفية إلى غير ذلك مما يجعله - مُسلماً ناضجاً .

أما المسكين فهو مُحتاج إلى من يُطعمه . و نُحِبُّ أن نبين معنى المسكين . المسكين هو من سكن إليك لقضاء حاجته . وليس المراد هو من يحتاج إلى الطعام فقط فلو احتاج مسافر ما لأن تدله على عنوان . فإنه يُعتبر مسكيناً لاحتياجه إلى معرفة الطريق .

إن طبيعة الوجود تقتضي أن يكون هناك يتيم ومسكين . ومادام هناك يتيم ففي اليتيم إشارة إلى الموت (إن إلى ربك الرجعي) فكل إنسان إلى زوال وحينما وصي القرآن على رعاية اليتيم علم أن كل إنسان مُعرض لئتم ولده ، فهو بهذا يوصي الإنسان على يتيمة هو (وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ ۝ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ)

وليَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) •

من عظمة الإسلام أنه نبهنا إلى المسئولية الاجتماعية ، ولقد صدق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قال ما معناه " **مثل المؤمنین فی توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد** ••• الحديث " ومقتضي هذا أن يشعر الإنسان بمسئوليته نحو إخوانه المسلمين : و القرآن يرد علي من قال (ربي أكرم من) لينبهه إلى أن ابتلاء الله له بهذه النعمة يقتضي منه شكرها برعايته اليتيم ، وإطعامه المسكين (**وَلَا تَحْضُونَ عَلَيَّ طَعَامَ الْمَسْكِينِ**) ومعني الحض • الحث • ونظير هذا ما جاء في سورة الماعون في قوله عز وجل (**وَلَا يَحْضُ عَلَيَّ طَعَامَ الْمَسْكِينِ**) وهنا قال الشيخ (رحمه الله) هل كل مسلم يملك أن يطعم ؟ قطعاً لا • ولكن الله سبحانه وتعالى : يُريد أن يرى إنطباع الخير و الرحمة في قلب عبده ، وهذا أمر مُيسّر لجميع المخلوقات • وهذا هو الحث الذي يعنيه القرآن الكريم ، فالله لا يُعاقب العبد علي عدم البذل ، وإنما يُعاقبه لعدم انطباع القلب علي البذل ، ولعدم حبه للخير فالمؤمن الحق بفطرته النقيه يجد أن قلبه مطبوع علي الخير برعايته

اليتم ، وإطعامه المسكين و غير المؤمن يفتقدهما • بدليل قول الحق (أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۖ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ۖ وَلَا يَحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ) فجعل كل من أعرض عن اليتم ، وحرّم التعاطف علي المساكين مكذباً بيوم الدين ، كافراً بالثواب والعقاب •

ثم قال الشيخ لو أن سائلاً يتسول وجمع قوت يومين • وممر عليه مسكين آخر وسأله شيئاً لو لم يُعطه مما معه لكان السائل الأول مُكذباً بيوم الدين • ثم قال : إن الإنسان عندما يشتري طعاماً لآل بيته : بشرائه لهذا الطعام فقد ملكيته لأنه أصبح خارجاً عن حوزته ، فلو سأله مسكين شيئاً لأسرع إلي الأشياء التي اشتراها وأعطاه منها • ولكن ذلك أيسر عليه بكثير من أن يخرج نقوداً من جيبه • تلك هي طبيعة الناس •

ثم ساق الشيخ مناظرة عن البُخلاء ليُبَيِّن صور البُخل • فقال مُحدثاً عن البخيل الأول - أنا أبخل بمالي علي نفسي • وقال الثاني • أنا أبخل بمال الناس علي نفسي بمعنى أنه لو قدم له

أحد من الناس طعاماً وأحس بلذته إذا لامتنع عن تناوله خوفاً
من أن يطلب من استضافه أن يُقدم له نظيره .

ثم قال البخيل الثالث : أنا أبخل بمال الناس علي الناس ،
فمجرد العطاء شئ يُفزعني ثم قال الشيخ تعالوا لنرى الصور
التي عرضها القرآن عن البخلاء .

أولاً : أقل ما تتطلبه رعاية اليتيم . أن يحنو المسلم عليه . أن
يضمه إلى صدره ، أن يمسح رأسه . لكن هذه الأمور
اليسيرة معدومة . بل هو فوق هذا وذاك يدعُّه بمعنى أنه يدفعه
بعيداً عنه غير راغب في اقترابه منه ، وهكذا حاله مع
المسكين هروب ونفور .

هذا ولقد سمعنا من الشيخ أنه قال ذات مرة : انظروا كيف
وصف الله الإنسان في القرآن الكريم وبين أنه ظلوم : أناي :
جحود . (قُلْ لَوْ أَنَّكُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ
خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ) انظروا رحمكم الله تعالى إلى عظمة القرآن
حينما نسب الخزائن إلى المولي عز وجل في قوله : (تملكون
خزائن رحمة . . . الآية) أية سعة بعد هذه السعة ؟ بل
وأية رحمت يتسع لها الوجود بعد رحمة الرحيم جل

جلاله . ؟ ثم انظروا إلى النهاية التي تُفقد العاقل صوابه في قوله (**لَأَمْسِكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ**) ولو كان التعبير القرآني لَأَمْسِكْتُمْ خَشْيَةَ النِّفَاقِ لكان أمراً معقولاً . لكن الحق سبحانه جل جلاله هو الذي يصور بشاعة الأنانية في الإنسان ، كما يصور مدي كراهيته لانتشار الرحمة والتعاطف بين الناس . وجاءت سورة (الماعون) لتبين بُعد الإنسان عن ربه ، وبأنه فقد الرحمة المعنوية ببُعده عن اليتيم ، و الرحمة المادية ببُعده عن المسكين ، وقد يتصور المسلم أنه لا ربط بين قوله بعد (**فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ**) وبين الآيات السابقة . ولكن الله يُريد أن يُرشدنا إلى أقرب باب للتقرب إليه . و التعرف عليه هذا الباب هو إقامة الصلاة كما وضح الحديث القدسي : (**مَا تَقْرُبُ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتَهُ عَلَيْهِ . وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحْبَبَهُ .** الحديث) كما جاء في حديث آخر عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال ما معناه (**الصلاة نور ، والصدقة برهان**) . الحديثان أثبتا أن الثمرة من الصلاة مفقودة ، حيث لا فائدة منها ما لم ترع اليتيم ، وما لم تطعم المسكين .

الصلاة نور لأنها كشفت بُخله ، وكشفت ضعف دينه ،
حيث الشق الاجتماعي ورحمته بالجمع مفقودة ، كما أن
الصدقة دليل الإيمان ، علامة التصديق باليوم الآخر •

والقرآن كما قلنا توعّد المصلين الذين تجاوزوا في صلاتهم ،
وابتعدوا بها عن وجه الله وكان هدفهم ولاء الناس ،
و ثناءهم عليهم ، وامتداحهم بالتقوي •

ولذلك توعدهم الله بقوله (**فويل للمصلين • الذين هم عن
صلاتهم ساهون**) لكن الكثرة الكثيرة من الناس يسهون في
صلاتهم فهذا السهو لا يوصل الإنسان إلى درجة الرياء
لأن التعبير بقوله سبحانه (**عن**) تفيد المجاوزة و البعد •
وفسر سبحانه ذلك بقوله : (**الذين هم يراعون**) •

ولنوضح التعبير واستعمال الحرف (**عن**) نستعرض الآية
الكريمة في قصة سيدنا سليمان وقول الحق فيها (**إني أحببت
حب الخير عن ذكر ربي**) الخيل لا يمكن أن تشغل سيدنا
سليمان عليه السلام عن ذكر الله ، لأن دائرة ملكه واسعة
جداً ولم يُتح هذا لنبي قط إلا سيدنا سليمان عليه السلام
ومن المحال ان يشغله شيء عن ذكر الله ، كما أن الخيل مهيما

كانت محبوبة لدية وبخاصة حينما تكون مُعدة للجهاد لا يمكن أن يكون حبها ممدوحاً لأن يضع وقت سيدنا سليمان في استعراضها • ومن العجب أن يفسر بعض العلماء الآية بأن سيدنا سليمان ظل يستعرض الخيل وشغله ذلك حتى غابت الشمس ولم يؤد الصلاة المطلوبة ، ثم لما انتبه سيدنا سليمان وأحس بأن الخيل شغلته عن ذكر الله وعن الصلاة أمر بإعادة عرض الخيل عليه مرة أخرى ثم أخذ يضرب سيقانها وأعناقها ندماً وتكفيراً عما كان منه ، وليس من المعقول أن يبدد نبي من أنبياء الله ثروته الحيوانية بهذه السهولة خاصة وأنها مُعدة للقتال •

والتأمل في آيات القرآن يعلم يقيناً أن مثل هذا التفسير لا يليق بمسلم يتقي الله فيما يملكه خاصة وإن بعض الألفاظ الموحية تدل علي عكس هذا • انظروا إخواني إلى قوله سبحانه (فَطَفِقَ) وما يوحى به الفعل من حنان وتعاطف • والإنسان بطبيعته حينما يظهر تعاطفه مع صبي أو يتيم فإنه يمسح علي رأسه ، ويربت علي كتفه و لعل الذي دفع المفسرين الذين قالوا بهذا الرأي وأن سيدنا سليمان عليه

السلام ، استعرضها مرة أخرى وذبحها هو المعني للحرف
(عن) الذي يفيد البعد و المجاوزة كما ورد في سورة الماعون
(عن صلاتهم) ويكون معني (عن) في قصة سيدنا سليمان
عليه السلام ، وأن سيدنا سليمان فضل استعراض الخيل حتي
أبعده وغيبه هذا الاستعراض عن الصلاة ومثل هذا بعيد . ثم
كان للشيخ رحمه الله رأي آخر . وأي برأي يتناسب مع شدة
ارتباط الأنبياء بربهم وهم قوم فوق مستوى البشر العادي .
فالإنسان المؤمن القوي الإيمان لا يمكن أن يشغله شاغل أيا
كان عن الصلاة فما بالكم بالأنبياء الذين أرسلهم الحق
ليكونوا أسوة للناس .

ولذا أقر الشيخ أن الحرف (عن) يفيد المجاوزة و البعد كما
يري أهل اللغة و لكنه قال : إن الخيل موضع حب الناس قديما
وحديثاً : حتي في أيامنا هذه ، يوجد من يعشقها . وسيدنا
سليمان عليه السلام واحد من الناس الذين يعشقون الخيل .
لكنه وهو النبي العظيم تسامي بحبه . و ارتفع بهذا الحب
حتي ابتعد بحبه هذا عن الغريزة البشرية العادية التي يعيش
بها الناس . بل كان حبه لها لأن الخير معقود بنواصيها

ولحب الله لكل من كان وما كان سببا في رفع راية الإيمان والتوحيد ولذلك كان يراها كل الرعاية ، و يهتم بها كل الاهتمام لأنها مُعدة للجهاد ثم عاد الشيخ ليبين أن علامة الصلاة المقبولة تتمثل في الخشوع الوارد ذكره في قول الحق (قد أفلح المؤمنون • الذين هم في صلاتهم خاشعون) وعلامة الصلاة المقبولة إقامتها • ومعنى إقامتها أن يؤديها المسلم بجسده في عالم الملك وبروحه في عالم الغيب • أما المرائي وهو الذي لا تقبل صلاته لأنه أوقعها بجسده في عالم الشهادة • ولم يرق بها إلى عالم الغيب حيث تلف كما يلف الثوب الخرق ثم يضرب بها في وجهه • أعاذنا الله وإياكم من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا •

(ويمنعون الماعون) سيدنا ابن عباس • فسر الماعون بأنه القصعة و القصيعه • و المراد الإناء الذي يوضع فيه الطعام ثم عاد الشيخ مرة أخرى إلى بيان البخل فقال : إن البخل نوعان : بخل مع الله ، وبخل علي الناس : أما البخل مع الله سبحانه فهو أن المسلم يوقن يقينا لا يقبل الشك بأن الصلاة فرض فرضها الحق علي عبده لإثبات حقه سبحانه عليه •

والمرائي حينما رآى الناس وكان عمله ليمدحه الناس فهو
حينئذٍ نظر إلى المخلوقين ، ولم ينظر إلى الخالق سبحانه فهو
بهذا يُخل علي الله ووضع الشيء في غير موضعه • ومنع
بهذا الرياء قلبه عن ان تتزل فيه رحمة الله عز وجل •
فكان بهذا مانعاً للماعون لأن القلب أنية الله في أرضه كما
بين الحديث الشريف • وهناك آية أخرى هي قول الله
عز وجل (**إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ**
لَذِكْرِي) فالمصلي المرائي لم يذكر الله بصلاته تلك • بل ذكر
غيره فكان بهذا بخيلاً علي الله ، وباع ما لله لغير الله • ثم
أتى الشيخ بحديث آخر ما معناه وهو قول سيدنا رسول الله
صلي الله عليه وسلم : (**التقوى ها هنا التقوى ها هنا**)
واشار إلى صدره الشريف صلي الله عليه وسلم : فالحديث
يثبت أن التقوى بالقلوب وليست بالأجساد : والآية أيضا
تقول (**وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ**) :
و المرائي بفعله هذا عبد جحد نعمة الله سبحانه •

عجيب لهذا الانسان المخلوق : الله خالقه ، وهو وحده
الذي يملك الجزاء فما أشد حُققاً ممن يتقرب بالطاعة لمن لا
يملك الجزاء .

ولذلك كان طيب البشرية عليه صلوات الله ، وأزكي
تسليماته يدعو دائماً ويقول (**يا مقلب القلوب والأبصار**
ثبت قلوبنا علي دينك يا الله) بهذا وضح أن معني
البخل أن تمنع صاحب الحق حقه . وبعد أن وضح معني
البخل مع الله بين الشيخ أن البخل علي الناس معروف
ومتعدد . فليس البخيل هو من منع المال فقط . ولكن
أحياناً يبخل البخيل بعلمه . وهو أشد أنواع البخل ، وقد
يبخل الإنسان بصحته عندما يشعر بأن شخصاً ما محتاج إلي
أن يساعده في عمل جثماني قد لا يستطيع وحده أن يقوم به
. ولكن اقتضت الضرورة أن يستعين بأخ له ساعة من
الزمان . فيضن السليم عليه والأمثلة كثيرة و كثيرة .
وتتمثل أكثر في التبرع بالدم وغير ذلك . وتحضرنا سورة
(**والليل إذا يغشي**) حيث تناولت صفة البخل وأبرزت
خطورة حال البخيل .

قال تعالى : (والليل إذا يغشي .. والنهار إذا تجلي .. وما خلق الذكر و الأنثى إن سعيكم لشتي .. فأما من أعطي واتقي .. وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى .. وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى .. فسنيسره للعسرى .. وما يغني عنه ماله إذا تردى .. إن علينا للهدى .. وإن لنا للأخرة والأولي .. فأنذرتكم نارا تلظى .. لا يصليها إلا الأشقي .. الذي كذب وتولى .. وسيجنبها الأتقى .. الذي يؤتي ماله يتزكى .. وما لأحد عنده من نعمة تجزي .. إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى .. ولسوف يرضى) .

(والليل إذا يغشي) إذا وضع وبان . ومعلوم أن سورة (والليل إذا يغشي) جاءت عقب سورة والشمس وضحاها : ولقد تعرضت السورة السابقة لعقر الناقة (فكذبوه فعقروها .. فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها) فلقد حل الظلام وخيم عليهم بمخالفتهم أمر ربهم حيث أنزل الله بهم العذاب اللائق بهم . ورسالة الرسل تبديد الظلام ، ونشر راية التوحيد ، فتنقشع ظلمات الكفر ، بإشراق نور التوحيد : والآية الكريمة في قول الحق (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور) تبين أن الكون ملئ بالظلمات أي الظلمات الحسية و المعنوية . أما عالم الغيب

فهو عالم النور • ولقد بين الشيخ رحمه الله و استدل علي هذا
بقول الله (سبحانه الذي أسري بعبدہ ليلاً من المسجد الحرام
إلي المسجد الأقصى) فقال : إن كلمة الليل أى وقت الليل
ولكن من الممكن أن يشار بالليل إلي عالم الشهادة ثم عُرج
بالرسول صلي الله عليه وسلم إلي عالم الغيب الذي يُمثل النور
• (والنهار إذا تجلي) وضح وبان (والليل إذا يغشي) بما
يناسبه من الظلمات (و النهار إذا تجلي) ما يتناسب مع
إرسال الرسل عليهم السلام فيأرسالهم تبدد ظلمات
الكفر ، و يظهر نور الإيمان و التوحيد ليملاً الكون بأسره •
(وما خلق الذكر و الأنثى) كما يظهر خلق النوعين في وقت
معين : هكذا يكون إرسال الرسل عليهم السلام في وقت
معين ، و زمن محدد لا يتخطاه • (إن سعيكم لشتي) في
سعيكم ما يشبه الليل بظلامه من عصيان ، إثم ، كفر وفي
سعيكم الآخر ما يشبه النهار من فعل الطاعات وإقرار
بالإيمان والتوحيد ، ورجوع و تصديق ببارئ الأرض
و السموات : فمنكم المؤمن ومنكم الكافر ومعني (لشتي)
أي مختلف ومتباين ، وكل ميسر لما خلق له • ثم تأملوا مرة

أخري إلى قول الحق : (والليل إذا يغشي) لبيان لكم التقلبات التي تطرأ علي الإنسان و الكون .

(والليل إذا يغشي .. والنهار إذا تجلي) يريد الله من عبده أن يتأمل و يتعظ . ففي الكون ما يدل علي صفات الجلال . كما أن فيه ما يدلنا علي صفات الجمال .

والله سبحانه وتعالى خالق الأضداد ، وبدون الأضداد يتلاشي الكون فإذا لم يكن الذكر و الأنثى ينعدم الإنتاج في الإنسان و الحيوان ، النبات فسبحان ربي القدير . تجلي الله بصفات الجمال فكانت الجنة . وعندما تجلي بصفات الجلال فكانت النار . مقابل هذا فالأعمال شتى . فمن الناس من يعمل للجنة . ومنهم من يعمل للنار . ثم أراد الحق أن يبين من المحمود ؟ ومن المذموم ؟ فقال عز وجل : (فأما من أعطي واتقى .. وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) فأما من أعطي ، أعطي الله صفاته ، فلم ييخل بها ، وكان من آثار صفاته عز وجل وجود الليل و النهار ، و الذكر و الأنثى : وهذا يحتاج إلي التحقق به لأنه عالم الغيب (أعطي) أعطي نفسه حق العبادة لله ، والإيمان به وحده . وأعطي نفسه حق

اجتناب نواهيه ، لإحساسه بربوبية خالقه • (**واتقي**) اتقي
كل ما يغضب الله • هذا و التقوى في جملتها : فعل المأمور ،
وترك المحذور ، والرضا بالمقدور •

ثم سأل أحد الحاضرين • سؤالا • ألم تنزل الآيات المذكورة
(**فأما من أعطي واتقي ١٠٠ الآيات**) في سيدنا أبي بكر رضي الله
عنه ؟ قال الشيخ نعم ولو قلنا إن قول الله سبحانه وتعالى في
سورة المدثر : (**ذرني ومن خلقت وحيداً ١٠ وجعلت له مالا
ممدوداً ١٠ ونبئين شهوداً**) نزلت في الوليد بن المغيرة • لو
توقفنا عند أسباب النزول و لتفرق القرآن اجزاء • ولكن
كما يقول الفقهاء و العلماء : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص
السبب • ثم ضرب مثلاً للإيضاح فقال من الذي جمع مواد
الدستور الذي تسير عليه بلادنا ؟ سنقول فلان ، فلان ونحن
بدورنا نسأل أين هم الآن ؟ و السؤال الأخير ألم يطبق هذا
الدستور و يُنفذ علينا و سيطبق علي من سيأتي بعدنا ؟ لأن
مواد الدستور مُعدة لكل مواطن (**فأما من أعطي**) هيأ قلبه
للإيمان و التوحيد ، لأن الإيمان محله القلب (**أعطي**) أعطي
الله صفاته ، وآمن بأسمائه الحسني كلها •

(واتقي) هذا خاص بعمل الجوارح و علي هذا فيصبح المعني واضحاً ، و اليقين مكتملاً لأن الإيمان عقيدته و العقيدة خاصة بالقلب ، و العمل خاص بالجوارح و حينما يؤدي المسلم التكاليف الشرعية علي وجهها الصحيح يكون مقتدياً بسيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم . و حينئذ تكون عقيدته قد سلمت ، وأفعاله قد صحت : (وصدق بالحسنى) ربما نجد من يقول إن المراد بها الجنة . ولكن المعني غير هذا تأمل معنا كيف عرض القرآن علي المسلم آثار قدرة الله عز وجل في ظهور الليل بظلامه وسكونه ، وفي النهار بظهور ضوئه . و حركات المخلوقين فيه وسعيهم لتحصيل أرزاقهم ، ثم جريان الزمان بنظام دقيق محكم .

(لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر و لا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) هذه الأمور كلها تنطق بقسرة الله و وحدانيته . هذه الأمور كلها تشير إلي أسماء الله الحسنى ليس في هذا ما يشير إلي رحمته بخلقه ؟ أليس في هذا ما يشير إلي أنه سبحانه لطيف . ودود ، حي قيوم علي جميع المخلوقات . و من آمن بهذا في الدنيا فهو من غير شك

سيكون أشد إيماناً بها في الآخرة . وهذا معني (صدق
بالحسن) أي أنه صدق بما سيجري في عالم الآخرة بعد أن
تيقن . وشهد بوحدانيته وقدره خالقه في الدنيا .
(فسنيصره ليسرى)

وعلينا أن نعلم أن المطلوب من المؤمن أولاً . التصديق بالغيب
بدليل الآية الكريمة أول سورة البقرة (الّمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا
رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ٠٠ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) قلنا إن
الإيمان بالغيب مطلوب من المؤمن أولاً التصديق به لأننا حينما
ندعو الكافر إلى الإسلام نطالبه بالشهادة (اشهد ألا إله إلا
الله) و الله سبحانه غيب ثم بعد الإيمان بالغيب نطالب
المؤمن بالعمل ولذلك جاء بعد قوله عز وجل (يُؤْمِنُونَ
بِالْغَيْبِ) و يقيمون الصلاة . فهم علي ضوء إيمانهم بالغيب
أقاموا الصلاة .

(فسنيصره ليسرى) سيجزيه ربه الجزاء العاجل في الدنيا
بالرضا واطمئنان القلب ، و يُيسر له الحياة الدنيا . و يوفقه
في عمله ، حيث يوجهه ربه إلى إتقان عمل الآخرة (يأيها
الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً و يكفر عنكم

**سَيِّئَاتِكُمْ) وفي آية أخرى (ومن يتق الله يجعل له من أمره
يُسْرًا) (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا
يحتسب) .**

كل هذه الآيات تشير إلى الجزاء الذي أعده الله لعباده
المؤمنين وكان التيسير مطلقاً في الآية الكريمة إشارة واضحة
إلى أن التيسير سيكون في أمور الآخرة والدنيا . (وأما من
بخل واستغني) ليس المراد بالبخل بخل المال فقط كما هو
المعروف لدينا وإن كان البخل بالمال داخلاً ضمناً . لكن
هناك من أنواع البخل ما هو أشد بخلًا من المال . نحن جميعاً
نعيش في دنيانا و نعم الله علينا أكثر من أن نحصيها . (وإن
تعدوا نعمة الله لا تحصوها) أبعد هذه النعم نبخل بالإقرار
بصفات الله و أسمائه الحسني ؟ سيسأل أخي ويقول وكيف
نبخل علي الحق بالإقرار بصفاته ؟ أقول لإخواني حدثوني بمن
رفع السماء بغير عمد ما شعور السارق حينما يسرق ويحاول
أن يختفي عن أعين الرقباء ؟

هل نسي الرقيب علي كل شئ وهو سبحانه الذي لا تخفي
عليه خافية في الأرض ولا في السماء ؟ من يتواري ليشرب

الظفر أين إحساسه بمعية خالقه ؟ من يغتصب المال والعرض ؟
أين مكانة الله في قلوب هؤلاء و هؤلاء : أظن أن الأمر قد
وضع بالنسبة لمن جحد صفات خالقه الآن ولم يقربها
وكيف غاب سلطان الحق عن ضمائرهم ؟ ولذلك يصبح
التفسير للعطاء شاملاً . ووضح أن إعطاء المال أقل درجات
العطاء كما وضح أن البخل بالمال أهون درجات البخل .
وكان الأمر طبعياً بعد البخل أن يستغني عن الآخرة حيث
باعها بديناره . واتخذ إلهه هواه فعبده . وهذا من شأن
الكافر ، لأنه منصرف كلية إلى الدنيا : مكذب بالآخرة .
فلا بعث بعد الموت لشغله ولا حساب يخيفه . وهذا هو
التكذيب الذي أشارت إليه الآية الكريمة في قوله عز وجل
(**وكذب بالحسنى**) لأنه بهذا أعرض عن الآخرة إعراضاً
كلياً : وأصبح ينطبق عليه قول الحق (**والذين كفروا يتمتعون
ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم**) وهذا الصنف
من الخلق الذين قال الله في شأنهم (**إن شر الدواب عند الله
الصم البكم الذين لا يعقلون**) . ولو علم الله فيهم خيراً
لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) .

هذا ولقد صدق فيهم قول الله (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) •

وقد يعجب البعض كيف يُسرُّ الله الحياة للكافر ، فيُعْطيه المال والبنين والصحة ، وهو في كل هذا يحصل علي نصيبه بدرجة عالية ، كما ورد أن الله إذا كره عبداً حينما يدعو يقول الله عز وجل لملائكته • (اقضوا حاجته) فإني لا أحب أن أسمع صوته ، أعاذنا الله وإياكم من الكفر والضلال ، وهدانا إلى صراطه المستقيم •

ثم انظروا رحمكم الله إلى المؤمن حينما يدعو فإن الله سبحانه وتعالى يؤجل استجابة دعائه لأنه يحب أن يسمع صوت عبده المِلح في الدعاء •

ولذلك قال الشيخ إن أهل المعرفة بالله إذا استجاب الله دعاءهم فإنهم يكونون ، لأنهم حُرِّموا الافتقار ، والولوف علي باب ربهم الكريم • (فسنيسره للعسرى .. وما يُفني عنه ماله إذا تردى) عدالة الله سبحانه تقتضي ألا يُضيع عليه عملاً حسناً عمله في الدنيا ، بل يُكافئه عليه في دنياه جزاءً وفاقاً • لكن لا حظ له في الآخرة (من كان يريد العاجلة

جعلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً) • ويقول الحق في آية أخرى :

(ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً)
وهكذا تصبح حياة البخيل علي الله و الناس كأنها سلاسل
تشده إلى النار وبئس القرار • و حينئذ لن يجد المال الذي
كان يشغله ، لن يجد الجاه و السلطة التي كانت تحجبه عن
ربه كل شئ كان قد اعتر به زال واختفي • وقدم علي ربه
وحيداً فريداً لا يتجرع إلا كل الآلام ، و لا يجني إلا كل
ندم وحسرة • ولذلك جاء القرآن مُعبراً عن كل ما يُحيط به
(وأما من أوتي كتابه بشماله •• فيقول يا ليتني لم أوت
كتابيه •• ولم أدر ما حسابيه •• يا ليتها كانت القاضية •• ما
أغني عني ماله •• هلك عني سلطانيه) وحينئذ يسمع قول
الحق : (خذوه فغلوه •• ثم الحجيم صلّوه •• ثم في
سلسلة ذرّعها سبعون ذراعاً فاسلّوه •• إنه كان لا يؤمن بالله
العظيم •• ولا يحض علي طعام المسكين) •

(إن علينا للهدى •• وإن لنا للآخرة والأولي) لماذا عبر الحق
بقوله (علينا) التي تُفيد الاستعلاء ؟ لأن الآخرة عزيزه
وغاليه جداً لا يهبها إلا الحق عز وجل لمن يرضي عليه من

عباده السعداء الذين آمنوا به ، وخضعوا لربوبيته كما أنه سبحانه هو واهب الدنيا لمن أرادها • وهو صاحب الملك والملكوت وهو في هذا يقول (من كان يُريد حرث الآخرة نَزِدْله في حَرْثه •• ومن كان يُريد حرث الدنيا نُؤْتِه منها وماله في الآخرة من نصيب)

(فَأَنْذَرْتَكُمْ نَارًا تَلْظِي) هذا تخويف لكل من تمرد على الله (لا يصلها إلا الأشقي) لا تحرق النار إلا من جحد قلبه وقسي ففسدت جوارحه ، فلا تعرف للطاعة طريقاً (الأشقي) أي الكافر الذي لم يعرف نور الإيمان طريقاً إلى قلبه فكان مُظْلِماً في ظاهره وباطنه • ولذا كان خلوده في النار أنسب جزاء لجحوده وعصيانه ، وكفره بربه • وكلمة الأشقي تدل على أنه فاسد العقيدة ، فاسد العمل ، ولا يغيب عنا أن الشارع الحكيم اهتم اهتماماً بالغاً بتقوية العقيدة ولذلك لما نزل قول الحق تبارك وتعالى (فَاتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ) فزرع بعض الصحابة لأنهم أدركوا أنهم ليس في استطاعتهم أن يصلوا إلى مستوى أمر الله لهم • ولكن رحمة الله قريب من المحسنين حيث وجدوا في آية أخرى قول الله تعالى :

(فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) ولقد وضح شيخنا رحمه الله وأجزل له العطاء قال قولاً جميلاً للجمع بين الآيتين حيث وجه الأمر في الآية الأولى علي أن ذلك خاص بالعقيدة . ولذلك كان التعبير مناسباً حيث قال الله (**حَقُّ تَقَاتِهِ**) فلا تسامح مطلقاً في كل ما يتصل بالعقيدة . وما سُميت عقيدة إلا لشدة متانتها وقوة استحكامها .

أما الآية الثانية (**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**) في الطاعات والأعمال وبهذا أمكن الجمع بين فهم الآيتين . و انتفي بهذا أدني فهم لتعارض الآيتين .

وضرب الشيخ مثلاً لهذا : قال لو كبر الصبي و عرف أن هذا الذي يعيش معه و يتولي أمره أبوه . لو اجتمع الناس جميعاً . وقالوا له : ليس هذا أباك ! هل يتطرق الشك إلي قلبه لحظة من الزمان ؟ أظن ذلك لن يكون : هكذا العقيدة : هو موقن تماماً أن هذا والده . لكنه في جانب بره لأبيه هل يساوي يقينه به و بأبوته ؟ طبعاً لا إذا فهو في جانب السر حسب استطاعته . وفي جانب عقيدته بأبوته تمام اليقين .

(وسيُجنبها الأتقي • الذي يؤتي ماله يتركزي) معنى هذا
أن العبد الذي وفقه خالقه ، فهداه إلى التوحيد و الإيمان ،
ثم هداه إلى العمل هذا العبد الذي سينجيه الله من حر جهنم
ويُبعده عن لهبها لأن عقيدته نقيّة وصحيحة وأعماله
طاهرة ومقبولة • و كما وضحنا سابقاً في كلمة (الأشقي)
فقلنا (الأشقي) أي فاسد العقيدة + فاسد العمل و عليه
فيكون (الأتقي) سليم العقيدة قويها + سلامة العمل •

(الذي يؤتي ماله يتركزي) عبر الحق بكلمة (يؤتي) لأن
الإيتاء لا يصحبه مَنْ "عليّ الفقير بخلاف يُعطي لأن المُعطي قد
يرى نفسه في العطاء • و هو برؤيته لنفسه يتعد عن ربه
نسأل الله السلامة ، ولذلك جاءت آيات الزكاة مقرونة
بالإيتاء (الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون
ما أنفقوا منّا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم
ولا هم يحزنون) ، من أجل هذا قرر الشارع الحكيم أن ما
يأخذه الفقير هو حق معلوم له •

(وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) ومن هدي الآية
الكريمة يستقر لدي كل مؤمن مَوْحِد أنه حينما يؤتي الصدقة

للفقير ليس تفضلاً منه عليه بل يحمد الله سبحانه الذي وفقه
فأخرج حق الفقير من ماله . ولذلك وصف الله عباده
الفائزين (والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجة أنهم إلي
ربهم راجعون) .

(وما لأحد عنده من نعمة تجزي' . إلا ابتغاء وجه ربه
الأعلى') (ولسوف يرضي') بينت الآية أن المؤمن حينما يريد
التصدق فإنه يبتغي وجه الله ورضاه ثواباً خالصاً . (وما
أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء) وجاءت
كلمة (أحد) منكراً لأنه نفي أن يكون أحد أى أحد مقصود
سوى الله عز وجل . فلشدة إيمانه و يقينه لا ينتظر الجزاء إلا
من يملك الجزاء . وهو الله سبحانه .

(إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى) المؤمن في فعله يطلب رضا
خالقه . وهنا نلمح في الآية الكريمة دقة التجريد . وكان
التعبير بكلمة (أحد) لنفي الشراكة مع الله كما قلنا سابقاً .
لكن كلمة (واحد) لا تقبل التجزئة (ولسوف يرضي) .
يرضي عندما يرى ما أعده الله له من النعيم المقيم ، و الثواب
الجزيل في الآخرة . وهذا هو سر التعبير (سوف) لأن

الآخرة هي دار الجزاء ، ودار الإقامة ودار الخلود . ثم قال
الشيخ ومن أعظم نعم الله علي عبده أنه لا يكشف له عن
تمام رضاه إلا في الآخرة حتي لا يُصيبه غرور .

وهنا وجه للشيخ رحمه الله سؤال :

ما معني قول الله سبحانه و تعالى (**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً**
تَطْهَرُ بِهِمْ وَتَرْزُقُهُمْ بِهَا وَصَلْ عَلَيْهِمْ إِنْ صَلَّوْا تَكُ سَكَنَ
لَهُمْ) ما المراد بالصلاة في الآية . فأجاب (رضي الله عنه)
بقوله : سادتنا العلماء جزاهم الله خيراً فسروا الصلاة في الآية
بالدعاء . ولو قلنا بذلك لا نتهي زمن الدعاء ووقته لأنه مقيد
بحياة سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم . أما وقد انتقل
صلوات الله وسلامه عليه إلي الرفيق الأعلى فلا بد لنا أن
نبحث عن تأويل آخر يتمشي حتي يظل الباب مفتوحاً .
ومعلوم أن الأحكام الشرعية باقية ما بقيت الأيام
والدهور . والأنسب أن نفسر الصلاة بالصلة بشريعته لأن
الأمر بالتشريع من الله . و الرسول صلي الله عليه وسلم
حينما دعا إلي تشريع الزكاة دعا إليها بإذن من ربه ليربط
المزكي بخالقه فيحصل له الأجر و الثواب والتطهير .

ثم أجاب عن سؤال ما سبب خلود الكافر في النار ، وخلود المؤمن في الجنة ؟ فقال لو عاش الكافر آلاف السنين لاستمر علي كفره ولو عاش المؤمن آلاف السنين لاستمر علي إيمانه فنية التأبيد موجودة للطرفين ، فاستحق كل منهما الخلود لما مات عليه .

ثم وجه إليه رحمه الله السؤال الأخير . هل في القرآن سور يفضل بعضها البعض الآخر كما ورد بهذا بعض الأحاديث ؟ فقال رضي الله عنه القرآن كله كلام الله عز وجل . وما ورد من أحاديث في تفضيل بعض السور الغرض منها الترغيب وحث المؤمن علي الإقبال علي تلاوة القرآن ليحصل الأجر ويعظم الثواب .

ومن ذلك ما ورد عن سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم في الحديث ما معناه (**أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث**

القرآن ٠٠٠٠ الحديث) .

وللعلماء في ذلك تفسير يوضح معني الحديث الشريف : المقصود من هذا الحديث هو قراءة سورة الإخلاص . ومعني معادلتها ثلث القرآن لأن ثلث القرآن قصص ، الثلث الثاني

أحكام و تشريعات ، الثالث الثالث توحيد فكأن قارئها قد
قرأ كل ما يخص جانب التوحيد .

حديث آخر ما معناه : قلب القرآن (يس) حينما يستمع
المؤمن إلى هذا يطمئن قلبه . و يقبل علي السورة بإخلاص .
فتسهل عليه قراءتها ومن هنا تأتي الأفضلية ، حتي يشتد
الإقبال علي كتاب الله ، فينال العبد رضا الله ومحبته .

وهناك حديث ثالث ورد في أفضلية آية الكرسي : من ذلك
ما رواه سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه حينما اختاره سيدنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم حارساً علي مال الصدقة
(الزكاة) وذات ليلة أقبل حاث يخنق أي يسرق من مال
الصدقة . فأمسك به سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه ولكن
السارق اشتكى إليه كثرة عياله فأطلقه . فلما أصبح سأله
سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماذا فعلت بأسيرك
البارحة يا أبا هريرة ؟ وهنا تعجب أحد المستمعين كيف
علم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ولكن الشيخ
رحمه الله انطلق بحماس المؤمن فقال من كان منكم يتصور
أن بشرية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل بشرتنا

فقد ابتعد عن الحق و الصواب و المعلوم من الدين بالضرورة
أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان علي اتصال
دائم بالسماء حيث كان الوحي لا يغيب عنه . ومن
الأحاديث التي رويت عنه صلى الله عليه وسلم أنه تنبأ بأمر
غيبية كثيرة ، ومن بينها أمور مستقبلية ومن بلغ كل هذه
التشريعات لا تعجزه مثل هذه الأمور الصغيرة وتكفيها الآية
الكريمة (وما ينطق عن الهوى) .

ولم ينتقل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق
الأعلى إلا بعد أن أطلعه ربه علي كل ما يتصل برسالته
أما الغيب المطلق فهو لله وحده . و علينا أن نتأمل قول الحق
عز وجل (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في
البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في
ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين)

والله إن هذه الآية الكريمة وحدها لترتفع بتوحيد المؤمن إلى
عنان السماء .

أرأيتم إخواني كيف أن آية كريمة واحدة تناولت ووضحت
وبينت للمؤمن مدى اتساع علم الله . اسم واحد وصفة

واحدة من أسمائه الحسني (العليم) انظروا إخواني إلى أي
مدي تصور الآية الكريمة مدي الإحاطة (وما تسقط من ورقة
إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض) ما أعظم شأنك يا خالق
الأرض والسماء : أنت : أنت يا ربي الخالق أنت أنت يا ربي
العليم أنت أنت يا ربي الرزاق • عز جاهك • وجل ثناؤك لا
نُحصى ثناءً عليك أنت أنت ، كما أثبت علي نفسك •

ثم جاء السارق في الليلة الثانية • وكان سيدنا رسول الله صلي
الله عليه وسلم قد نبه سيدنا أبا هريرة إلى أنه سيأتي ثانية
فقال مثل ما قال في الليلة الأولى ثم جاء الليلة التالية • وهنا
عزم سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه علي أنه لن يتركه بعد
هذا • ولا بد أن يذهب به إلى سيدنا رسول الله صلي الله عليه
وسلم • وما إن أمسكه وأعلمه أنه سيذهب به إلى سيدنا
رسول الله صلي الله عليه وسلم إلا وأصبح كالعصفور في يده
ولكنه توسل إلى سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه وقال له دعني
وأطلقني وأنا أعلمك سر آية من كتاب الله لو قرأها لن
يقربك شيطان أبداً في اليوم أو الليلة التي تقرأها فيها من قرأ
آية الكرسي حينما يأوي إلى مضجعه فإن الشيطان لا يقربه

في ليلته فَسَّرَ سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه وأطلقه • ولما أصبح أخبر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كان من أمره • فقال المعصوم سيد الخلق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**لقد صدقك وهو كذوب**) أتدري من الذي أخبرك بهذا يا أبا هريرة ؟ إنه الشيطان ؟ !!!

هذا ولقد ورد في خواتيم سورة البقرة بعض الأحاديث التي تُرغب المؤمن في قراءتها (**ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين**) •

وصلي الله وسلم وبارك على سيدنا محمد و علي آلِه وصحبِه وسلم • و الحمد لله رب العالمين بداية و نهاية ،،،

ربيع ثاني ١٤٢٥ هجرية